التبليغ والارشاد في رسائل النور

د.داود آى دوز *

»لقد ضحيت حتى بآخرتي في سبيل تحقيق سلامة ايمان المجتمع، فليس في قلبي حب الجنة ولا الخوف من جهنم، بل انني على استعداد لأضحى ليس فقط بسعيد واحد بل بألف سعيد في سبيل ايمان المجتمع التركي البالغ خمس وعشرون مليوناً. ولئن ظل قرآننا دون جماعة تحمل رايته على سطح الارض فلا ارغب حتى في الجنة اذ ستكون هي ايضاً سجناً لى ، وإن رأيت ايمان امتنا في خير وسلام فانني ارض ان اُحرق في لهيب جهنم اذ بينما يحترق جسدي يرفل قلبي في سعادة وسرور«((١)

»لى غاية واحدة وهي واحدة

انني في هذا الوقت الذي اتقرب فيه الى القبر.. وفي هذا الوطن الذي هو بلاد اسلامية، نسمع نعيق ابوام البلاشفة.. هذا النعيق يهدد اسس الايمان في العالم الاسلامي، ويشدّ الشعب ولا سيما الشباب اليه، بعد سلب الايمان منهم،

انني بكل ما أملك من وجود، أُجاهد هؤلاء، وادعو المسلمين وبخاصة الشباب الى الايمان، فانا في جهاد دائم مع هذه المجموعة الملحدة. وسأمثلُ ان شاء الله في ديوان حضوره سبحانه وانارافع راية هذا الجهاد. وكل عملي ينحصر في هذا. واخشى ما اخشاه ان يكون الذين يحولون بيني وبين غايت هذه هم بلاشفة ايضاً.

فغايتي المقدسة هي التكاتف والتساند والترابط مع كل من يجاهد اعداء الايمان هؤلاء. اعطوني حريتي واطلقوا يديّ كي اعمل بالتكاتف مع القوى المجاهدة في سبيل اعلان التوحيد وترسيخ الايمان في هذه البلاد واصلاح الشباب المتسمم بالشيوعية«(٢)

أيها السادة المستمعون! قبل الانتقال الى الموضوع الاساسي لنلقي نظرة قصيرة على مكانة التبليغ والإرشاد في الاسلام.

التبليغ يعنى إيصال الخبر. ومعناه الاصطلاحي: »الاخبار بكل شى يعدّ جيداً، وايصال كل شئ حسن ونظيف وخير الى البلاد والامم الاخري، لقبوله«(٣) وباختصار التبليغ هو؛ »شرح حقيقة الاسلام« او »الامر بالمعروف والنهي عن المنكر«.

التبليغ هو غاية وجود كل نبي. ولولا التبليغ لما كان لإرسال الأنبياء أى معنى ولكان ذلك عبثاً. وإن من لطف الله وكرمه للبشرية هو تجلي الرحمانية والمرحمة الالهية واحياءها في حياة أنبيائه. وانعكاس ذلك على البشرية لا يتم إلا بالتبليغ..

وإن كثيراً من الآيات القرآنية تصرح بذلك لفظاً ومعنى، وتكرر ان وظيفة الانبياء هي التبليغ(٤).

وقد أعطيت مكانة مهمة حول وجوب التبليغ في القرآن والسنة الصحيحة، وإن موضوع هذه المقالة ومدتها لا تساعد حتى على ذكر مثال او مثالين منها.

الأمة، وخاصة العلماء هم ورثة الانبياء في هذا الموضوع. تغيرالزمن والشروط، واختلاف الجغرافيا لا تشكل عائقاً للتبليغ الديني. لكن توضع الشروط الخاصة بكل زمان ومكان في التبليغ بعين الاعتبار. لأن جميع الانبياء تحركوا على هذا الشكل. جميع الشعوب والامم متساوية في التبليغ الاسلامي وصاحبة لنفس الحقوق. وإن تبليغ الإسلام لجميع الناس فرض على كل مسلم دون التفريق في العرق، واللون، والجنس، والجغرافيا، والزمان، والمكان.

وذلك لأن وظيفة الدعوة للاسلام وتبليغه ليست خاصة بمحمد ﷺ وأصحابه. كما ان الرسول محمد ﷺ آخر الانبياء ولن يأتي نبياً بعده. إذاً فما هي الوظيفة التي تقع على عاتق منتسبي الدين الذي سيبقي الى يوم القيامة؟ وأقصر جواب لذلك هو: »السير على طريق رسول الله وأصحابه. والقيام بوظائف تعادل الوظائف التي قاموا بها في العصر الذي عاشوا فيه حسب إمكاناتهم، وذلك حسب متطلبات يومنا«. يقول الله تعالى في محكم كتابه ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون(٥) وبذلك يأمر بوجود جماعة تقوم بهذه الوظيفة. وقد أجاب بديع الزمان هذا الامر الالهي

وقام بوظيفة الارشاد والتبليغ.

إن أهم خواص الإرشاد والتبليغ عند بديع الزمان، والخواص التي تميزه عن الآخرين وتظهره في الامام هي:

١- نذر نفسه كاملة لهذا العمل:

نعم لقد أجاب بديع الزمان اوامر الله وقام بالتبليغ والإرشاد. لكن هذه الإجابة لم تكن على شكل تخصيص قسم من وقته لذلك، بل كانت على شكل جعل عمره كاملاً لذلك. لأن بعض الناس يقومون بذلك الى جانب اعمالهم الاخرى بعد زواجهم وانجابهم للاولاد او يقومون به مقابل أجرة »كأئمة الجوامع، والمؤذنين، والوعاظ، والمفتين وغيرهم«؛ بينما قال بديع الزمان كما فعل الانبياء »إن اجري الا على الله«، ولم يطلب اي اجر ووقف كل عمره لوظيفة الإرشاد والتبليغ.

لم يخش الاستاذ الذي جعل غاية حياته هي التبليغ والارشاد شيئاً او يخاف من احد في هذا السبيل ووضع امام عينية جميع المخاطر. وقد بين انه مستعد للتضحية بآخرته الى جانب تضحيته بدنياه بشرط سلامة ايمان الامة نتيجة التبليغ والارشاد.

»لقد ضحيت حتى بآخرتى في سبيل تحقيق سلامة ايمان المجتمع، فليس في قلبي حب الجنة ولا الخوف من جهنم، ففي سبيل المجتمع التركي وفي سبيل ايمان المجتمع التركي البالغ خمس وعشرون مليوناً انني على استعداد ليس فقط بسعيد واحد بل بألف سعيد، فان ظل قرآننا دون جماعة على سطح الارض فانني لا ارغب حتى في الجنة لأنها ستكون هي ايضاً سجناً لي، وان رأيت ايمان امتنا في خير وتحيطه السلامة فانا راض أن أُحرق في لهيب جهنم، لأنه بينما يحترق جسدي في النار يرفل قلبي في سعادة وسرور«

٢- المرحلة التي عاشها:

مرحلة اعتبرت فيها كل حملة دينية »حركة رجعية« وأسئ فيها حتى للمتدينين الذين يؤدون العبادات بانفراد، ومنعت فيها قراءة القرآن وتعليمه، وارسل فيها العلماء الابرياء لمنصة الاعدام لمجرد بعض الاوهام، وعوقب فيها كل تعليم ديني بشدة و دونما رحمة. نعم، هي مرحلة اغلقت فيها المدارس والزوايا التي حرست مقدسات ومعنويات وحيثية الامة على مئات السنين، واطفئت فيها جميع منابع العرفان، تركت التدريسات الدينية، وأرعب بعض المشايخ وعلماء الدين بشتى الأساليب، وبإعطاء بعضهم مناصب، في مثل هذه المرحلة المشئومة كانت غاية حياة مؤلف رسائل النور بديع الزمان هي الإرشاد والتبليغ. هذه الشخصية العظيمة اندفعت دون وجل و عاشت من اجل ذلك فقط، في هذا الوسط الذي يعد فيه التدين جسارة فضلاً عن القيام بخدمة الدين. وسيشاهد هذه الحقيقة كل من يدرس حياته واثاره بشكل واضح.

٣- سعة وتوع مجال الخدمة وتنوعها

إن نشاطات الإشاد والتبليغ التي قام بها بديع الزمان ليس لها زمان ولا مكان. فقد كان يدرس الطلاب، ويعظ وينصح، ويسير في الصفوف الاولى أمام المجاهدين في الحرب، ويصارع الاعداء بالسيف وجها لوجه، ويجابه قائد الاعداء عندما يقع في الاسر حتى يدفعه للتفكير وهو على منصة الاعدام، مما يجعله ينصفه، ويفعل ذلك كله باسم الإرشاد والتبليغ. ومن طرف فقد كان يعطي العشائر دروساً ونصائحاً في الاخلاق والايمان خلال رحلاته في شرقي الاناضول، ومن طرف آخر كان ينقل آراءه وتشخيصاته المصيبة في السياسة الاسلامية للعلماء في الشام. كما كان يعرض الحقائق القدسية للقرآن في خطبته ومقالاته لمجلس المبعوثان - النواب في عهد المشروطية- وكان يعرض أفكاره هذه في مؤلفه »ديوان الحرب العرفي دون خوف. وقد أقنع السلطان، كما أقنع الحكومة في أنقرة بفتح جامعة في الشرق. ويشتغل بالسياسة في مرحلة معينة ولو بشكل قليل من أجل خدمة الدين، ويوصي النواب في المجلس باتباع الحق دون خوف، ويحول السجن الى مدرسة يوسفية ويكتب الرسائل لتلاميذه يوضح لهم فيها الطريق. والأهم من ذلك كله يقوم بتأليف رسائل النور تحت أقسى الشروط، ويرسل الرسائل التي كتبها الى مختلف بقاع العالم وهو على قيد الحياة.. وخلاصة القول إن الإرشاد والتبليغ قد ملآ حياة بديع الزمان ولم يتركا له فراغاً.

لقد استمر بديع الزمان في ارشاده بين الكتل الشعبية وداخل طبقة المثقفين، وخاطب كل الجماعات دون تفريق في المستويات التي تفهمها كل جماعة. لذلك لم يهمل احداً من مخاطبيه في آثاره التي كتبها. وكل من يقرأ آثاره من العوام، والخواص، وخواص الخواص يستفيد منها حسب مستواه. فمثلاً ألف رسالة محاكمات عقلية« لخواص الخواص . كما ألف لمعات العجاز والمرضي للشيوخ والمرضي، ودليل الشباب للشباب، ودليل النساء للنساء.

٤- توحد لسان الحال والقال

إن أهم خاصية للاستاذ في الارشاد والتبليغ هي شرحه للحقائق داخل وحدة الحال والقال.. وإهتم كثيراً بالاخلاص، والزهد، والتقوى.. وطلبه اجر التبليغ والإرشاد من الله عز وجل فقط وذلك وفق الدستور القرآني والنبوي... واستغناءه عن الناس.

٥- تبليغه وإرشاده قرآنياً ونبوياً

إلى جانب كون بديع الزمان صاحب حس إنساني مرهف، فقد عاش كل عمره في ظلال القرآن والسنة، وتحرك حسب موجبات الكتاب والسنة في القضايا التي تتعلق بدعوته. نعم، إن من اهم خواص التبليغ والارشاد عنده، هي موافقته لشروط العصر الذي يعيشه، وموافقة التبليغ والإرشاد لمنهج الدعوة القرآنية والنبوية. يعني أنه عمل وفق الاوامر القرآنية الموجهة للانبياء والعالمين في التبليغ، واتبع منهجاً في الدعوة للإسلام يوافق منهج النبي ﷺ.

٦- تشخيصه ومعالجته لأمراض العصر بشكل جيد

لقد ضرب بديع الزمان بمشرطه على زمراضنا العصرية، ومن أجل تشريح وتشخيص هذه الجروح التي سببت لنا مصائب كبيرة، وكي يخلص المسلمين من الانهيار، قال كل شئ من صميم قلبه منذ بداية حياته وحتى لقاءه لمولاه، وتابع مشكلاتنا بنفس المقياس، وقدّم نفس الشئ من أجل معالجة هذه الامراض.

بالنسبة لبديع الزمان إن منبع جميع المساوئ في عهده كما هي اليوم هو الجهل، وفقر الضرورة الاختلاف. وكمفكر أدراك عصره بشكل جيد أراد ان يلقح الجماعات التعيسة في تلك الايام روح العلم. واهتم كثيراً بقضايا فقر الضرورة والمشكلات الاقتصادية. وبحث عن الحلول لاختلافنا، واصر على الوحدة والاتحاد.

نعم إن أول سبب لأرماتنا الاجتماعية هو الجهل الذي يعد اول سبب لسفالتنا القومية. ولا شك إن الجهل الذي يعني عدم معرفة الله والرسول واهمال الدين وعدم مشاهدة فعاليتنا المادية والمعنوية التاريخية، هي بدون شك اكبر بلاء ينزل فوق رؤسنا منذ ذلك اليوم وحتى يومنا.. وقد وقف بديع الزمان حياته لمحاربة هذا الميكروب. وبالنسبة له إنه من العبث التفاؤل بنجاة الامة دون تنوير المجتمع بالعلم والعفرفان، وتعويد المجتمع على التفكير المنظم، وقطع الطريق أمام الافكار المنحرفة. لقد نجح بديع الزمان في تأسيس حركة تجديد كبيرة في كليات رسائل النور، وأسس مدرسة اسلامية على العلم والحكمة. وقد بدأ بديع الزمان حركة إرشاد وتبليغ جديدة في العالم الاسلامي في العصر الذي انكسفت فيه الافكار والضمائر. وهو حقاً مجدد في عالم الإرشاد.

ونحن نريد ان نقدم في هذه المقالة المنهج الذي اتبعه بديع الزمان في وظيفة الإرشاد والتبليغ طيلة حياته، والتي اوصى بها تلاميذه، ومن المناسب ان يتبعها الوعاظ والمرشدون المسلمون الذين يعيشون في هذا العصر وذلك على شكل مواد.

١- على المرشد ان يعيش ما يقوله اولاً:

إن أهم سر لإجراء الإيضاحات الخارقة التي يقوم بها الاستاذ بديع الزمان في آثاره تأثيراً كبيراً على الافكار والقلوب، هو عيشه لهذه الحقائق بنفسه بشكل كامل. أي لئلا يكون ممن تتعرض له الآيات الكريمة مثل تقولون ما لا تفعلون(٦) و أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم(٧) لم يقل ما لا يفعل. بل العكس فقد خاطب نفسه اولاً و عاش ذلك بنفسه ثم قاله للآخرين.

وقد خاطب نفسه واسمه كثيراً في رسائل النور، وارجع كثيراً من الاخطاء لنفسه بهدف إعطاء الدروس للآخرين، ورجح هذا الاسلوب في التبليغ لإيقاظ الآخرين بموجب التواضع الخاص بالناس العظام ودون الإساءة الى مخاطبيه. وكان يخاطب

نفسه بالعبارات التالية »يا نفسي الشرهة«، و»يا نفسي المغروة«، »يا نفسي المسكينة«، وخاطب نفسه أكثر من مخاطبته للآخرين.

* يجب ان نعيش نحن اولاً:

»ولو اننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم اخلاق الاسلام وكمال حقائق الايمان، لدخل اتباع الاديان الاخرى في الاسلام جماعات وأفواجاً. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للاسلام«(٨)

* رسائل النور تسعى لاقناع نفسه مؤلفها اولاً:

»ثم ان رسائل النور تحاول اولاً اقناع نفس مؤلفها ثم تخاطب الآخرين؛ لذا فالدرس الذي اقنع المؤلف الامارة بالسوء اقناعاً كافياً وتمكّن من ازالة وساوسها وشبهاتها ازالة تامة لهو درس قوي بلاشك، وخالص ايضاً بحيث يتمكن وحده من أن يصدر تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهيبة - بتشكيلاتها الجماعية المنظمة- بل أن يجابهها ويتغلب عليها«(٩)

٢- الإخلاص في التبليغ والإرشاد

إن الأشخاص الذين يخدمون الدين يجب يكونوا مثالاًفي الصدق من المنظور العقيدي، والفكري والقولي، والسلوكي. يعني يجب ان يكونوا مخلصين. ويجب ان يقوموا بالإرشاد والتبليغ لأجل اكتساب مرضاة الحق تعالى. ويجب ان لا تكون نيته بقصد تحقيق المنفعة، والرياء، والمظاهر، والحسد، والحرص، والطمع أو اكتساب مدح وثناء الناس. الرياء والسمعة ضد الاخلاص. والرياء كما جاء في الحديث هو شرك.(١٠)

طريق رسائل النور هو طريق الإخلاص. والنجاة لا تكون إلا بالإخلاص. والاخلاص هو الشفرة المعنوية لقبول و مقبولية التوفيق في خدمة القرآن. ويبين بديع الزمان ان اكبر قوة لرسائل النور هي الإخلاص. وقد ألف رسالة بهذا المقصد. وإن وضعه عبارة »يجب ان تقرأ مرة كل ١٥ يوماً على الاقل« في مستهل »هذه الرسالة يدل على درجة الأهمية التي اولاها للاخلاص.

* يجب ان يرى الإرشاد والتبليغ فوق كل شئ:

»ان طلاب رسائل النور الحقيقيين يرون خدمة الايمان فوق كل شئ فحتى لو منحوا مرتبة القطبية يفضلون عليها خدمة الايمان، حفاظاً على الاخلاص«(١١)

* غايتنا الاخلاص واجتناب الرياء

»أخي العزيز الفطن!

نحن نهرب هروباً من احترام الناس ايانا وتوقيرهم لنا وحسن ظنهم بنا واكرامهم لنا واعجابهم بنا، وذلك بمقتضى مسلكنا فاللهاث وراء الشهرة التي هي رياء عجب، ودخول التاريخ بفخر وبهاء، وهو عُجب ذو فتنة وحب الظهور وكسب اعجاب الناس. كل ذلك مناف ومخالف للاخلاص الذي هو أساس من اسس مسلك النور وطريقه.

فنحن نجفل ونهرب مذعورين من هذه الامور باعتبارنا الشخصي؛ ناهيك عن الرغبة فيها.

ولكننا نرجو من رحمة الله الواسعة اظهار رسائل النور النابعة من فيض القرآن الكريم، والتي هي لمعات اعجازه المعنوي، ومفسرة حقائقه واكشافة اسراره.. فنرجو من رحمته تعالى الاعلان عن هذه الرسائل والرواج لها وشعور الناس بحاجتهم اليها واظهار قيمتها الرفيعة جداً، وتقدير الناس لها واعجابهم بها، وتبيان كراماتها المعنوية الظاهرة جداً واظهار غلبتها على الزندقة بجميع انواعها بسر الايمان، فنحن نريد اعلام هذه الامور وافهام الناس بها واظهار تلك المزيا ، ونرجو ذلك من رحمته تعالى«(١٢)

* عدم جعل الإخلاص في الإرشاد والتبليغ آلة لأى شئ

»بل قد جرحت اكثر من مائة مرة مشاعر طلاب النور الذين يحملون حسن ظن مفرط بشخصي، يشهد على هذا ما كتبته في (رسائل النور) وحقائقها المتعلقة بشخصي، والمنصفون ممن يختلفون اليَّ بجد، والاصدقاء جميعاً. فأنا لست المالك لبضاعة

النور، بل لست الاّ دلالاً ضعيفاً بسيطاً في حانوت مجوهرات القرآن.
كما انني بتصديق من اخواني المقربين، وبما شاهدوا من اماراتها العديدة، عازم على أَلاَّ أضحي بالمناصب الدنيوية وأمجادها الزائفة وحدها، بل لو أسند اليّ - فرضاً اختلاط حظوظ نفسي باخلاصي في الخدمة . وقد قمت بهذا فعلاً«(١٣)
٣- وظيفة المبلغ هي التفهيم، وجعل الاخري يقبلون التبليغ وظيفة الله
يبين الله تعالى ان الوظيفة التي تقع على عاتق الانبياء هي التبليغ فقط، أما وظيفة قبول التبليغ او عدم قبوله فهي وظيفة الله عز وجل حيث يقول ما على الرسول إلا البلاغ(١٤) كما خاطب الرسول ﷺ اِنَّكَ لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء..(١٥) فذكّر إنما أنت مذكر. ليست عليهم بمصيطر(١٦). إن وظيفة من يقوم بالتبليغ والإرشاد هي الدعوة الحسنة وايصال الاحكام الـ"هية لمخاطبيه. أما الهداية فهي من زمور الله تعالى. وذلك لأن الداعية لا يملك القوة التي تجبر الناس علي الايمان وهو ليس مسؤولاً عن ذلك.
* لا يتدخل بوظيفة الله؛
»أَما مسلْك رسائل النور فانه يؤدي مهمته ولا يتدخل بأمور تخص الله سبحانه، فوظيفة طالب النور التبليغ، أما قبول الآخرين لتبليغه فموكول الى الله سبحانه...«(١٧)
٤- التطوع
التطوع هو، القيام بالخدمة دون غرض او عوض، يعني دون انتظار المنفعة والأجر. التطوع يختلف عن الإخلاص والصميمية. الرياء هو ضد الإخلاص، والمنفعة والاجر ضد التطوع. وكي يبين ان الإرشاد والدعوة يجب ان تتم بلا أجر نرى ان معظم الانبياء قالوا ويا قوم لا أسئلكم عليه مالاً ان اجري الا على الله، يا قوم لا أسئلكم عليه اجراً إن اجري إلا على الذي فطرني..(١٨). ويتضح من ذلك انه لا يمكن انتظار المنفعة المادية والمعنوية من الناس في الإرشاد والتبليغ. وأساسها مرضاة الله. وبديع الزمان يتبع الانبياء في نشر الحق، ولا يطلب الأجر والاجرة مقابل خدماته. وبالنسبة له إن هذه الدنيا هي دار الخدمة، وليست دار الاجر .
* عدم زخذ الزجرة مقابل التبليغ والإرشاد
»وعدم قبول شئ مقابل ما يقوم به المرء من خدمات في سبيل الدين، بل لا يطلبه قلبا. واذا حصل شئ من هذا القبيل فليعده احساناً الهياً محضاً، من دون البقاء تحت منة الناس. اذ ما ينبغي ان يسأل شئ في الدنيا لقاء خدمات في سبيل الدين، لئلا يضيع الاخلاص. فالامة وان كان عليها ان تضمن معاش هؤلاء، كما انهم يستحقون الزكاة، الا ان هؤلاء العاملين لا يسألون الناس شيئاً وربما يوهب لهم، حتى لو وهب لهم شئ فلا يأخذونه لقيامهم في خدمة الدين فالافضل ايثار من هم اهل لها على النفس، والرضى بما قسم الله من رزق والقناعة به«(١٩)
* الانتساب للدولة من أجل الخدمة، وليس من أجل الحصول على مرتب معاشي
»ان خدمة رجل مثلي للدولة لا تكون إلا باسداء النصائح . وهذه لا تتم الاّ بحسن تأثيرها، وهذا لا يتم الاّ بترك المصالح الشخصية، فانى معذور اذن عندما ارفض المرتّب«(٢٠)
٥- المحافظة على الاخوة، والوحدة، والاتحاد في التبليغ والإرشاد
إن الله يأمر المؤمنين بالاتحاد والتعاون على فعل الخير. »واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا(٢١) وتعاونوا على البر والتقوى(٢٢) ويطلب بديع الزمان من الجماعات والاشخاص الذين يقومون بالارشاد والتبليغ ان يتحدوا ويتعاونوا، وأن لا ينتقدوا ولا يغتابوا الاشخاص والجماعات الذين يقومون بالخدمات الاخرى.
أ- المحافظة على الوحدة والاتحاد بين الأخوة في التبليغ والإرشاد
العلاقة في رسائل النور هي علاقة حسبية، صميمية، وأخوة حقيقية. طلبة النور هم أخوة وأصدقاء في درس القرآن. معينين

ومظاهرين لبعضهم. ويعبر عن هذه الحالة في رسائل النور بتعبير »الفناء في الإخوان« يعني أنهم يفنون في بعضهم، ويعيشون مزية وشعور الأخ فكرياً. والايمان يقتضي اخوة المحبة الإسلامية. والروابط التي تؤسس الوحدة، والاتفاق والامتزاج هي بقدر الأسماء الآلهية.

»ينبغي للقريبين من دائرة رسائل النور من ارباب العلم واهل الطريقة واصحاب المشارب الصوفية الانضمام التيار النور ، ليمدّوه بما لديهم من رأسمال سابق، والسعي لتوسيع دائرته وحث طلابه وبث الشوق في نفوسهم، واذابة الانانية والقائها كقطعة ثلج في حوض الماء السلبيل للجماعة ليغنم ذلك الحوض الكوثري كاملاً. والاّ فمن يفتح نهجاً جديداً ويسلك طريقاً آخر، يضرّ هذه الجادة القرآنية المستقيمة القويمة من دون ان يشعر، ويتضرر هو بنفسه أيضاً، بل قد يكون عمله نوعاً من العون للزندقة دون شعور منه«(٢٣)

* وفي مثل هذا الوقت إن اكبر قوتنا هي امداد بعضنا بعضاً.

»ان الجهاد المعنوي لطلاب المعنوي لطلاب النور ضد هذا التيار الجارف يعدّ - باذن الله - جهاداً عظيم الثواب، اذ فيه قبس من جهاد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين يثابون بعمل قليل ثواباً عظيماً.

فيا اخوتي الاعزاء:

في مثل هذه الاوقات العصيبة، وامام هذه الاحداث الجسام، فان اعظم قوة لدينا - بعد قوة الاخلاص - هي قوة »الاشتراك في الاعمال الاخروية« اذ يكتب كل منكم في دفتر اعمال اخوته حسنات كثيرة مثلما يرسل بلسانه الامداد والعون الى قلعة التقوى وخنادقها.«(٢٤)

ب- السلوك الذي يجب اتباعه تجاه المشارب والمناهج الأخرى التي تقوم بالتبليغ والإرشاد

وقد عرض بديع الزمان حلولاً سليمة حتى ليومنا هذا - حسب قناعتنا - في هذه القضية.

فقبل كل شئ يرى ان وجود الجماعات المختلفة ضروري ومفيد. ويبحث عن وحدة الغاية بين الجماعات. ولا شك انه يجب ان تكون هذه الغاية ايجابية وبناءة. ويجب ان تكون في خدمة الدين والأمة. وإذا وجدت هذه لا يُسأل عن الوحدة في المنهج والمشرب. ويقول إن الاتحاد في هذه الحالة يجلب الضرر وليس النفع، وسيدفع الناس للقول »هذا لا يهمني ليفكر به الآخرين« ويصر على وجوب عدم انتقاد الطلبة والقائمين بوظيفة التبليغ لبعضهم.

* التحرك بشكل ايجابي:

١ - العمل الايجابي البنّاء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون ان يرد الى تفكيره، او يتدخل في علمه عداء الآخرين او التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم اصلاً.

٢ - بل عليه ان يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الاسلام - مهما كان نوعها - والتي ستكون منابع محبة ووسائل اخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- واتخاذ دستور الانصاف دليلاً ومرشداً، وهو ان صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: »ان مسلكي حق وهو افضل واجمل« من دون ان يتدخل في امر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له ان يقول: »الحق هو مسلكي فحسب« او »ان الحسن والجمال في مسلكي وحده« الذي يقضي على بطلان المسالك الاخرى وفسادها.

٤- العلم بان الاتفاق مع اهل الحق هو احد وسائل التوفيق الالهي وأحد منابع العزة الاسلامية.

٥ - الحفاظ على الحق والعدل بايجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع اهل الحق للوقوف تجاه اهل الضلالة والباطل الذين اخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على اهل الحق - بما يتمتعون به من تساند واتفاق - ثم الادراك بان اية مقاومة فردية - مهما كانت قوية - مغلوبة على امرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

٦ - ولاجل انقاذ الحق من صولة الباطل:

٧ - ترك غرور النفس وحظوظها.
٨ - وترك ما يُتصور خطأً انه من العزة والكرامة.
٩ - وترك دواعي الحسد والمنافسة والاحاسيس النفسانية التافهة.«(٢٥)
جـ- طراز السلوك تجاه المشايخ والاساتذة والعلماء:
* يجب عدم مناقشة الاساتذة والمشايخ
»من المحتمل جداً ان يُحرَّكَ ضدنا مشايخ أو علماء متظاهرون بالتقوى، مخدوعون بأنفسهم أو بتحريض غيرهم لهم.. وتجاه موقف كهذا، لابد لنا من المحافظة على وحدتنا وتساندنا، وعدم تضييع الوقت معهم في الجدل والنقاش الفارغ«(٢٦)
* بلغوا سلامي لذلك الواعظ والعالم.
»بلّغوا ذلك العالم الواعظ عني السلام. فانني أقبل انتقاده لشخصي واعتراضه عليّ بتقدير وبرحابة صدر. وانتم بدوركم لا تسوقوا ذلك العالم الفاضل ولا امثاله من العلماء الى المناقشة والمناظرة. ولو حدث تعدّ وتجاوز علينا، فلا تقابلوه حتى بالدعاء عليهم. اذ ان ذلك المتجاوز أو المعترض ايا كان، هو أخونا من حيث الايمان لأنه مؤمن. حتى لو عادانا، فلا نستطيع ان نعاديه بمثل عدائه، حسب ما يرشدنا اليه مسلكنا. لأن هناك اعداء شرسين وحيّات لاذعة ونحن لا نملك سوى النور، لا الصولجان. النور لا يؤلم، بل يلاطف بضيائه، ولا سيما الذين هم ذوو علم فلا تيروا غرورهم العلمي ان كانوا على غرور وانانية، بل استرشدوا ما استطعتم بدستور الآية الكريمة: واذا مرّوا باللغوا مرّوا كراماً (٢٧).
ثم ان ذلك الشخص المحترم، كان داخلاً في دائرة رسائل النور، واشترك في استنساخ الرسائل، فهو اذن ضمن تلك الدائرة فاصفحوا عن حتى لو كان يحمل خطأ فكرياً.
فليس مثل هذا الشخص الفاضل من ذوي الدين والتقوى المنسوبين الى الطرق الصوفية بل حتى من المؤمنين المنسوبين الى فرق ضالة، لا ينبغي ان نثير معهم نزاعاً وخصاماً في هذا العصر العجيب، بل لا نجعل نقاط اختلاف ونزاع موضع نقاض مع المؤمنين بالله واليوم الآخر حتى لو كانوا من النصارى«(٢٨)
٦- البدء بالعمل من الأساس
المبدأ الأساسي للدعوة الاسلامية هو »البدء بالعمل من الاصول والنزول الى الفروع بالتدريج«. لذلك على الدعاة المسلمين اولاً ان يزيلوا التشوش الايماني الذي وقع فيه المسلمون والناس وأن يقيموا أسس التوحيد. والاسلام لا يقوم إلا على عقيدة سليمة. وإن الاشتغال بالفرعيات دون تحقيق ذلك لا يجلب للدعوة أية فائدة. وإن كون الآيات المكية التي هي اول ما نزلت من القرآن تتعلق بالايمان يدل على أهمية هذه المسألة. وبديع الزمان مثله مثل جميع المفكرين المسلمين يرى ان اكبر حقيقة في الدنيا هي حقيقة الايمان والتوحيد. لذلك أعطى الأولوية للقضايا الايمانية في وظيفة التبليغ والارشاد، وبين باسمترار ان هذه هي الوظيفة الاولى والاساسية لرسائل النور. وبالنسبة له إن اكبر مشكلة لهذا العصر هي عدم الايمان. وقد كافح طيلة حياته ضد جميع العوائق التي تمنع انكشاف أنوار الحقيقة.
* رسائل النور تعطي درساً في الحقائق القدسية الايمانية للايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر.
»فلئن رُجّحت المسائل البسيطة للنحو والصرف التى يقرأها الطلاب مثل: نصر نصراً ونصروا.. على الاوراد التى تُذكر في الزوايا، فكيف برسائل النور الحاوية على الحقائق الايمانية المقدسة في »آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر«. ففي الوقت الذى ترشد رسائل النور الى تلك الحقائق باوضح صورة واكثرها قطعية وثبوتاً حتى لأعتى المعاندين المكابرين من الزنادقة وأشد الفلاسفة تمرداً، وتلزمهم الحجة، كم يكون على خطأ من يترك هذه السبيل او يعطلها او لايقنع بها ويدخل الزوايا المغلقة دون استئذان من رسائل تبعاً لهواه! ويبين في الوقت نفسه مدى كوننا مستحقين لهذه الصفعة، صفعة الرحمة والتأديب.«(٢٩)

* إذا رأيت إيمان الأمة بسلام

».....نفس الفقرة الموجودة في المقدمة (أية مقدمة يا احسان ابي؟).....«

* وظيفتنا انقاذ المسلمين من الإعدام الأبدي للموت

»نعم! لو كنت على دأبي السابق في ان أردّ كل اهانة وتحقير حفاظاً على عزة العلم.. ولو لم تكن وظيفتي الحقيقية منحصرة في امور الآخرة وحدها وموجهة لانقاذ المسلمين من الاعدام الأبدي للموت.. لو كان سعيي هو لاجل الحصول على حطام الدنيا واللهاث وراء شؤون السياسة السلبية، كما هو الشغل الشاغل للمعترضين عليّ.. لكان هؤلاء المنافقون الذين يعملون في سبيل الفوضوية والارهاب سبباً في حدوث عشرات الحوادث من امثال (منمن) وحادثة (الشيخ سعيد)«(٣٠)

٧- الخواص التي يجب الانتباه إليها لدي اداء الإرشاد والتبليغ

لقد رفض القرآن المجادلة التي تتم بجهل وبادعاءات فارغة دون طرح الادلة المعقولة. وأمر بالدعوة على أساس الحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلة قساة القلوب بأفضل الاساليب وأجملها وليونة اللسان وجادلهم بالتي هي أحسن(٣١)، ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هي أحسن.....(٣٢). فقولا له قولاً ليناً* لعله يتدكر او يخشى(٣٣)

إنه من الصعب جداً الحصول على نتيجة إيجابية المناقشات. ولا يمكن فرض الافكار على الطرف الآخر مهما كانت حسنة ومقبولة إلا اذا عرضت بشكل حسن ولين. لذك طلب بديع الزمان ان يبقى التبليغ والارشاد بعيداً عن النقاشات واوصى باستخدام اللسان الجميل. لأنه لا مكان للحدة، والغوغاء، والنقاش، والغضب في التبليغ. ومن هذا المنظور لم يبدأ بديع الزمان النقاش، ولم يدخل في أية غوغاء، لكنه وجد نفسه في بعض الاحيان وسط الغوغاء والنقاشات. وأحياناً صار نفسه مركزاً للغوغاء والمناقشة دون إرادته. وفي تلك الحالة تحمل مسؤلية إخماد الغوغاء والنقاش.(٣٤)

* أهمية القول الحسن في الارشاد والتبليغ

»لما كان القرآن الكريم يسوق جزالة البيان وبلاغة الكلام مقدماً ويكررهما كثيراً، فكأنه يرمز الى ان البلاغة والجزالة في الكلام ـ وهما من اسطع العلوم والفنون ـ سيلبسان ازهى حللهما واروع صورهما في آخر الزمان، حتى يغدو الناس يستلهمون أمضى سلاحهم من جزالة البيان وسحره، ويستلمون أرهب قوتهم من بلاغة الاداء، وذلك عند بيان أفكارهم ومعتقداتهم لإقناع الاخرين بها، أو عند تنفيذ آرائهم وقراراتهم..«(٣٥)

* غلبة المتحضرين من حيث الامور الدينية تتم بالاقناع

»ان الظهور على المدنيين من منظور الدين انما هو بالاقناع وليس بالاكراه. وباظهار الاسلام محبوباً وسامياً لديهم وذلك بالامتثال الجميل لأوامره واظهار الاخلاق الفاضلة«(٣٦)

* ان سبب عدم تأثير نصائح النصاحين هو:

»ومن هنا فاني أخال ان سبباً من أسباب عدم تأثير نصيحة الناصحين في هذا الزمان هو: انهم يقولون لسيئي الخلق: لا تحسدوا. لا تحرصوا. لا تعادوا. لا تعاندوا. لا تحبوا الدنيا. بمعنى انهم يقولون لهم غيّروا فطرتكم. وهو تكليف لا يطيقونه في الظاهر. ولكن لو يقولون لهم: اصرفوا وجوه هذه الصفات الى أمور الخير، غيّروا مجراها، فعندئذ تجدي النصيحة وتؤثر في النفوس، وتكون ضمن نطاق ارادة الانسان واختياره.«(٣٧)

٨- عدم الفتور في الوظيفة الباقية وترك الملعنة

على الذين يقومون بخدمة الدين ان يكونوا مثل الانبياء وصحابتهم دون فتور او كلل او ضعف »وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا.....«(٣٨). كما يجب عليهم أثناء قيامهم بوظيفة التبليغ ان لا يتركوا التبليغ ويهتموا بما لا يعنيهم. وقد قال الرسول ﷺ : »من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه« (٣٩). ويقول الاستاذسعيد النورسي في هذا الموضوع.

* »اخوتي الاعزاء!

اعلموا يقيناً ان الوظيفة التي ينشغل بها طلاب رسائل النور مسألة أجلّ وأعظم من أعظم مسائل الكرة الارضية قاطبة، فلا تفتروا في مهمتكم الباقية، ملتفتين الى مسائل دنيوية مثيرة للاهتمام، اقرأوا كثيراً »المسألة الرابعة« من رسالة »الثمرة« كيلا تخور عزائمكم وتضعف قوتكم المعنوية«(٤٠)

* يجب ان نحصر كل قوتنا وفكرينا ووقتنا بالوظيفة القدسية.

»لابد ان نحصر أوقاتنا وجميع قوتنا واهتمامنا في وظيفتنا المقدسة. ولابد أن نعدل كل ما هو خارج عنها اموراً لا تعنينا بشئ، فلا نضيّع وقتنا بها. لأننا نملك النور وحده، لا المطرقة والصولجان، فلا يبدر منا تعدٍ على حقوق أحد قطعاً، ولكن اذا ما اعتدي علينا، نظهر النور ونبينه. فنحن في حالة نوع من دفاع نوراني«(٤١)

* عندما يصيب المخلصين في العمل فتوراً يتعرضون لصفعة مشفقة.

»ان العاملين المخلصين في هذه الخدمة القرآنية لما يعتريهم الفتور والاهمال في العمل يأتيهم التحذير والتنبيه فيتلقون لطمة ذات رأفة وعطف« «(٤٢)

٩- الإيثار

الايثار يعني التفكير بالآخرين، وترجيح حقوق الآخرين ومنفتهم علىحقوق ومنفعة النفس. والايثار هو من أهم مميزات المرشد. والداعية لا يتحدث عن نفسه وانما يتحدث دوماً وبكل فرصة عن دعوته. وفي الاصل يوجد معنى التفكير بمنفعة الآخرين ونجاتهم في مفهوم الارشاد والتبليغ والدعوة . وعلى العاملين في الإرشاد والتبليغ ان يقدموا التضحيات المادية والمعنوية. وقد جاء في القرآن الكريم حول المؤمنين المؤثرين »... ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة«(٤٣)

* التضحية بالراحة، والشرف، والحيثية وحتى بالحياة عند الضرورة... .(٤٤)

* ترك الأنانية في الإرشاد والتبليغ

»ان مسلكنا ينحصر في هذا الوقت في خدمة الحق وحده وترك الانانية كلياً ولا يحصل بغير ذلك قطعاً. وقد اقتنعنا بهذا قناعة تامة، كما أن نفسي الامارة منذ عشرين سنة اضطرت الى الرضوخ لهذا المسلك«(٤٥)

١٠- الصبر على المصاعب التي تواجه خلال الإرشاد والتبليغ

إن اكبر معيار للقوة والقدرة في سجية اي مرشد هو الصر ومقاومة المنة وتحمل المشقات والمصائب. إن اصالة ونجابة المرشد تتجلى في المحنة ومشقاتها.

إن المرشد الذي يوصي بالصبر والتحمل، يجب ان يكون قد تعرض للمشقات والمحنة، وان يكون قد تعرض لأذى وصبر. وذلك كي يصير دليلاً حقيقياً للبشرية. مهما كان الاضطراب والمشقات شديدة فإن المرشد يستمر في إرشاده وخدماته يأخذ الحذر والتحمل.

والصبر من الوظائف الدينية للمسلمين. وتوجد اكثر من تسعين آية في القرآن تتحدث عن الصبر. وبديع الزمان هو مرشد أكبر عاش هذه الحقيقة بكمالها، وأوصاها لتلاميذه وللعاملين في التبليغ والارشاد.

* الصبر على المشقات

»وما دمنا نعمل من أجل حقيقة هي من أهمّ الحقائق وأجلّها، وأشدها ثبوتاً ورسوخاً؛ ولا يمكن تقييمها أو تقديرها بأي قيمة مادية مهما كانت، ويهون بذل النفس والروح والصديق والحبيب، بل الدنيا باسرها في سبيل تحققها، فلابد اذاً من ان نصمد بكمال المتانة والصبر تجاه جميع الويلات والمحن التي قد تنزل بنا، وان نواجه بصدر رحب جميع مضايقات الأعداء«(٤٦)

* إننا مكلفون بالصبر والشكر تجاه كل مشقة داخل خدمة الايمان »ان وظيفتنا هي الحركة الايجابية البناءة وليست الحركة التخريبية الهدامة. بل تنحصر وظيفتنا في الخدمة الايمانية وفق رضى الله سبحانه من دون التدخل فيما هو موكول امره الى

الله. ونحن مكلفون بالتحمل والصبر في أثنآء اداء خدمتنا الايمانية التي تنتج الحفاظ على الامن والنظام«(٤٧).

١١- الإرشاد والتبليغ يتم بوجود السكينة والأمن واستمرارهما

إن الاستاذ بديع الزمان، بتضحيته، وشجاعته، ومرحمته، وشفقته ، وكفاحه المعنوي ما يقارب القرن من الزمان ابعد تلاميذه عن جميع الحركات التي تؤدي الى الفتنة والفساد، والنفاق والشقاق، وتفسد الامن، كما ابعدهم عن السلوك الذي يوقع المسلين ببعضهم. كما انه لم يتأخر عن ايقاظ المسؤولين في الادارة يومها في المواضيع التي تحمل أهمية حياتية.

إننا نشاهد هذا المنهج في الإرشاد عند الاقطاب، والمجددين، والمجتهدين القدماء. فمثلاً رغم السجن والمشقات التي تعرض لها الإمام الرباني، والامام الاعظم أبو حنيفة، وأحمد بن حنبل لم يتركوا حركاتهم الايجابية. »ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها..«(٤٨).

»والله لا يحب المفسدين«(٤٩)»...وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين«(٥٠).

إن بديع الزمان اعتقد ان الامة التي تتمزق بوقوعها في النفاق والتفرقة لن تفلح أبداً لذلك فقد أعطى للمحافظة على الأمن أهمية كبيرة. وقد عرض ذلك على الانظار مراراً في رسائل النور.

وهذه بعض الأمثلة.

* الايمان، لا يفسد الأمن وانما يحققه

»ان رسائل النور التي هي عبارة عن الايمان والعلم، تحقق الامن والنظام في البلاد. فالايمان الذي منبع الخصال الحميدة والسجايا الفاضلة لاشك أنه يخل النظام بل يؤمّنه. فالذي النظام هو عدم الايمان الذي هو حرمان من السجايا«(٥١).

* إيقاف الفوضى والمحافظة على الأمن في خدمة الايمان

»..... ؟.....«(٥٢)

١٢- إجتناب السياسة في التبليغ والإرشاد

لقد اشتغل بديع الزمان في المرحلة التي سماها مرحلة سعيد القديم قبل تأليف رسائل النور بالسياسة لدرجة ما بقصد خدمة الدين والمقدسات، لكنه عندما شاهد ان السياسة بدأت تنحرف عن غايتها، وانقلبت نحو الصراع من أجل المنفعة، وفتحت الطريق للتطرف والتفرقة ، قرر انه لا يمكن ان يخدم الإيمان والقرآن بهذا الطريق، وصرف نظره عن عالم السياسة.

إن احد الأسباب المهمة لمنع بديع الزمان تلاميذة من السياسة هو ان السياسة تفتح طريق الخلاف وتفسد الأخوة الاسلامية. ويعبر عن قلقه في هذه الخصوص على الشكل التالي:

»حذار.. حذار.. ايها الاخوة من ان تقذفكم التيارات الدنيوية ولاسيما السياسية منها ولاسيما التيارات التي تلفت الانظار نحو الخارج، الى التفرقة، اذ تجعلكم بعد ذلك الدستور الشيطاني والعياذ بالله: »الحب في السياسة والبغض في السياسة« بدلاً من الدستور الرحماني (الحب في الله والبغض في الله) اذ عندها تعادون اخاً لكم هو في الحقيقة كالملاك وتولون الحب لرفيق في السياسة وهو كالخناس وتبدون الرضا لظلمه، وتشاركونه في جنايته ضمناً. فحذار حذار من هذا!«(٥٣)

وقد جرت حادثة بهذا المعنى ادت الى ابتعاده تماماً عن السياسة، وننقلها على الشكل التالي:

».رأيت ذات يوم رجلاً عليه سيماء العلم يقدح بعالم فاضل، بانحياز مغرض حتى بلغ به الامر الى حد تكفيره، وذلك لخلاف بينهما حول امور سياسية، بينما رأيته قد اثنى ـ في الوقت نفسه ـ على منافق يوافقه في الرأي السياسي!. فاصابتني من هذه الحادثة رعدة شديدة، واستعذت بالله مما آلت اليه السياسة وقلت: »اعوذ بالله من الشيطان والسياسة«(٥٤).

* ورغم انه لا توجد لنا أية علاقة مع أهل السياسة

»ان الذين يتعرضون لنا انما يتعرضون للايمان مباشرة ويتعدون عليه. فنحن نحلهم الى العلي القدير ورغم انه لا علاقة لنا بأهل السياسة قطعاً، فليعلموا جيداً انه ليست الاّ اسس رسائل النور التي تحافظ على هذه الامة من التردي والسقوط في

الهاوية والفوضى والارهاب«(٥٥).

* السياسة طريق خطير ويمنع اهم الخدمات اللازمة

» لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات علّه يخدم الدين والعلم عن طريقها. فذهبت محاولته ادراج الرياح، اذ رأى ان تلك الطريق ذات مشاكل، ومشكوك فيها. وان التدخل فيها فضول ـ بالنسبة اليّ ـ فهي تحول بيني وبين القيام بأهم واجب. وهي ذات خطورة. وان اغلبها خداع وأكاذيب. وهناك احتمال ان يكون الشخص آلة بيد الأجنبي دون ان يشعر. «(٥٦).

١٣- الاستفادة من مختلف الوسائط في التبليغ والإرشاد

إن للوسائط دور مهم في تأثير الدعوة الى جانب قابلية الداعية ومزياته ونشاطاته. لذلك يجب على الداعية ان يراجع جميع الوسائط التي تسهل عمله وتؤثر على النتيجة. وقد استفاد بديع الزمان في حياته من جميع الوسائط في الإرشاد والتبليغ، وطالب باستخدام الصحف في ذلك.

* على الصحف ان تجعل إعلاء كلمة الله أساساً لها.

»ان اساس هذا الاتحاد يمتد من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال.. ومركزه: الحَرمان الشريفان.. وجهة وحدته: التوحيد الالهي.. عهده وقَسَمَه: الايمان.. نظامه الداخلي: السنة النبوية الشريفة.. قوانينه: الأوامر والنواهي الشرعية.. مقر اجتماعاته: جميع المدارس والمساجد والزوايا.. ناشرُ افكار تلك الجماعة نشراً خالداً الى الأبد: جميع الكتب الاسلامية وفي المقدمة القرآن الكريم وتفاسيره (ورسائل النور احد تلك التفاسير في زماننا هذا) وجميع الصحف الدينية والجرائد النزيهة التي تهدف الى اعلاء كلمة الله.. ومنتسبوه: جميع المؤمنين.. رئيسه: فخر العالمينﷺ«(٥٧)

١٤- إن الله ينصر من يخدم دينه

يقول الله تعالى يَا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم(٥٨)

ولينصرن الله من ينصره....(٥٩) لذلك نجد بديع الزمان يشجع المتكاسيلن في خدمة الدين استناداً على هذه الآيات ويبين ان الله ينصر من يخدم دينه.

»يبرر احد طلاب النور، عدم سعيه لرسائل النور لازدياد هموم العيش.

فقلنا له: لانك لا تسعى" لرسائل النور ازدادت عليك هموم العيش. لأن كل طالب في هذه المناطق يعترف - وأنا كذلك اعترف- انه كلما سعينا لرسائل النور وجدنا السهولة في الحياة والانشراح في القلب واليسر في المعيشة.«(٦٠).

١٥- المشورة

للشورى مكانة مهمة في الدين الاسلامي. ويدل على ذلك وجود سورة في القرآن بهذا الاسم، ووجود آيات كثيرة حول ذلك. وأمرهم شورى بينهم (٦١) كما جاء في القرآن مخاطباً الرسول ﷺ وشاورهم في الأمر. وقد امتثل بديع الزمان لهذه الاوامر الالهية واستشار من حوله وأمر أهل الخدمة بالاستشارة.

* حافظوا على أصواتكم من التشتت بالمشورة الشرعية

»حذار حذار.. لا تفسحوا المجال لانتقاد بعضكم البعض الآخر فيستغل أهل الضلالة اختلاف مشاربكم وعروقكم الضعيفة وحاجاتهم المعايشة. صونوا اراءكم من التشتت بإقامة الشورى الشرعية بينكم ، اجعلوا دساتير رسالة الاخلاص نصب اعينكم دائماً. وبخلاف هذا فان اختلافاً طفيفاً في هذا الوقت يمكن ان يلحق اضراراً بليغة برسائل النور«(٦٢).

* يجب ان تكون مع المشورة الحذر والسكون وعدم البلبلة

»انجزوا أعمالكم بالشورى مع الأخذ بالحذر وبعيداً عن القلق والاضطراب ودون احداث الضجيج«(٦٣).

١٦- إصلاح الوعاظ، ورجال العلم، والمشايخ الذين لهم مكانة مهمة في التبليغ والإرشاد

الوعاظ ورجال العلم والمشايخ لهم أهمية كبيرة في نظام بديع الزمان. ويصف الواعظ بـ»المدرس العمومي«. ويجب إصلاح الموسسات التي تلعب دوراً مهماً في تخلفنا والتي شرحت بعض القضايا بشكل خاطئ للشعب وعلى رأسها مفهوم التوكل. وبهذا يتم نقل الرسالة الإسلامية الى الشعب بشكل أسلم. وحسب رأي بديع الزمان، إن اكبر خدمة لجعل العلم ملك الشعب، وتنبيه المشاعر الدينية والعقدة الحياتية للكتل الشعبية الكبيرة، وتنوير الافكار والضمائر، تقع على عاتق الوعاظ ورجال العلم والمشايخ.

أ- كيف يجب ان يكون الواعظ

»لابد أن يكون الواعظ حكيماً، وذا دراية بالمحاكمات العقلية.

نعم! ان الوعاظ الذين لا يملكون موازين، ويطلقون كلامهم جزافاً، قد سببوا حجب كثير من حقائق الدين النيّرة . فمثلاص: الزيادة التي زيدت في معجزة انشقاق القمر الباهرة بالمبالغة في الكلام، وهي ان القمر قد نزل من السماء ودخل تحت أبط الرسول ﷺ ثم رجع الى السماء. هذه الزيادة، جعلت تلك المعجزة الباهرة كالشمس، مخيفةً كنجم السهي، وجعلت ذلك البرهان للنبوة الذي هو كالقمر، مخسوفاً ، وفتحت ابواب حجج تافهة للمنكرين.

حاصلام الكلام:

يجب على كل محبّ للدين وعاشق للحقيقة: الاطمئنان بقيمة كل شئ وعدم اطلاق الكلام جزافاً وعدم التجاوز. اذ المبالغة افتراء على القدرة الالهية. وهي فقدان الثقة بالكمال والحسن في العالم واستخفاف بهما واللذين ألجآ الامام الغزالي الى القول: »ليس في الإمكان ابدع مما كان«(٦٤)

ب- وضع رجال العلم في التبليغ والإرشاد

* التشويق، والإرشاد، والنصيحة هي من شأن العلم

»ان كثيراً جداً من الناس يمضي بميل السيادة والآمرية والتفوق على الاخرين، فيجعل العلم المشوّق الناصح اللطيف، وسيلة قسر واكراه لاسبتداده وتفوقه، فبدأ من ان يخدم العلم يستخدمه. وعلى هذا فقد دخلت الوظائف بيد من ليسوا لهاً أهلاً، ولاسيما الوظائف في المدارس الدينية، فآلت الى الاندارس نتيجة هذا الامر«(٦٥)

ج - آراءه حول المشايخ في الإرشاد والتبليغ

* شأن المشيخة التواضع والمحوية

»ان شأن الولاية والمشيخة والعظمة: التواضع والتجرد، وهما من لوازم الفضيلة وخصائص الكمال ورفعة الشأن، لا التكبر والتحكم.. فمن تكبّر فهو صبي متشيّخ وطفل متكهّل، فلا تعظّموه..«(٦٦).

* الوظيفة الأصلية للمشايخ هي خدمة الاتحاد الاسلامي والارشاد اليه:

»لقد كنتَ - سابقاً - تودّ الشيوخ جميعاً وتحبهم بل تحسن الظن حتى بالمتشيخين، فما هذا الهجوم على قسم من المتشيخين الذين ابتلوا بالبدع؟

ج: قد قد يرد العداء من فرط المحبة وشدتها! نعم، فكما كنت أحبّهم لأجل نفسي، فقد عشقتهم لنفس الاسلام أضعاف أضعافها،

[لقد انتقش في سويداء قلوبهم الطارة الصبغة الربّانية وفي خلدهم ضياء الحقيقة] (*) (٦٧).

الاّ أن أس أساس مسلكهم: تنوير القلوب وربطها بالفضيلة الاسلامية والسير عليها، أي: الانطباع بالحمية الاسلامية، اي: ترك المنافع الشخصية لأجل الاخلاص، اي: التوجه الى تأسيس المحبة العامة، أي: خدمة الاتحاد الاسلامي والدعوة اليه.

١٧- مقصد الدين

هناك زحاديث شريفة تعد الدين نصيحة. وقد روي الحديث التالي في أوثق المصادر: »الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين

النصيحة. قلنا لمن ؟ قال لله، لكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم«(٦٨)

* الدين النصيحة

»الدين النصيحة، والتأثير ضروري فيها. ولا يحصل الاّ باثارة الحمية الاسلامية والمشاعر الوجدانية«(٦٩).

* المقصد الحقيقي للشريعة هو الإرشاد والتعليم(٧٠).

١٨- يجب ان يكون التبليغ لائقاً

يجب على الأشخاص الذين يقومون بالإرشاد والتبليغ معرفة بعض الخواص بشكل جيد قبل البدأ بالدعوة. وقبل الحصول على هذه المعلومات، يعني قبل الاستعداد للدعوة علمياً فلن يتم الحصول على نتيجة. فقبل كل شئ على الداعية، معرفة الأسس والمبادئ التي يدعو اليها بشكل جيد، وأن يتعلم الاسلام جيداً بجميع وجهاته. لذلك يجب ان يضع الكتاب والسنة فوق كل شئ، ويفهمهما بشكل جيد. والمرشد والمبلغ صاحب الثقافة الاسلامية، يحتاج لمعرفة الاوضاع والشروط للزمان، والمكان، والمحيط، والبيئة، وأوضاع وشروط مخاطبيه. لذلك يطلب بديع الزمان من الداعية ان يكون لائقاً لعمله.

* أهمية لياقة الداعية

»نعم ينبغي الاعتراف بهذه الحقيقة:

ان خزينة المجواهرات مهما كانت مليئة وغنية ونفيسة، لابد ان يكون دلاّلها والبائع لها، على معرفة باصول البيع والشراء. اذ لو لم تكن له تلك القابلية او المعرفة فان ما يملكه من الخزائن الثمينة وما فيها من الامتعة القيمة تحجب عن انظار الناس، اي لا يكون قد ادّى ما يستحقها من قدر.

وبناء علي هذا ، فان الذي يقوم بعرض الحقائق القرآنية للناس كافة عرضاً خالصاً لله، ويدعو اليها منذ اربعين سنة - وليس منذ ست سنوات - وفي خضم هذه الظروف المضطربة وهو يقرأ على اهل الاسلام الامر الرباني الجليل يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم(٧١)وينادي منذ ذلك الوقت بهذا النداء العلوي، قد جعل الامة المحمدية في موضع شكران عظيم لله، بما قدم من انوار ايمانية الى المحتاجين اليها.«(٧٢)

١٩- الحذر

عندما أرسل يعقوب عليه السلام أبناءه الى مصر اوصاهم ان يتصرفوا بحذر ويدخلوا المدينة من ابواب متفرقة : وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة.....(٧٣) . وقد اوصى بديع الزمان تلاميذه بالتصرف بحذر تجاه اعداء الدين.

* الحذر ألزم والمحافظة على الاعتدال واجب

»فلابد من العمل وفق الحديث الشريف (سيروا على سير اضعفكم) (*) ويلزم عدم الخوض في مسائل النزاع، وعدم طرق مسائل القبعة والاذان واستعمال عناوين الدجال والسفياني مع الغرباء حيث يسبب هذا اتخاذ العلماء واهل السياسة تجاه رسائل النور موقف المجابهة والتعدي عليها. فالحذر هو الألزم.. والواجب ضبط النفس ، حتى ان عدم الاخذ بالحذر ولو جزئياً يؤثر حتى هاهنا.

وان رسائل النور ليست دائرة واحدة بل لها طبقات كالدوائر المتداخلة.«(٧٤)

٢٠- الكتمان

كما نشاهد ايضاً ان يعقوب عليه السلام أمر ابنه يوسف عليه السلام أن لا يقصص رؤياه على اخوته: يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا.....(٧٥) وإن بدأ الدعوة في المرحلة الولى بمكة بشكل سري يدل على انه يجب ان يكتم المبلغين والمرشدين بعض الامور في بعض الاحيان. ويقول الرسول ﷺ : »استعينوا على قضاء حوائجكم وبالكتمان«(٧٦) . ويوصي بديع الزمان الذين يقومون بالخدمات ان يكتموا بعض الاشياء ويتعلموا الكتمان.

* يجب عدم افشاء الاسرار والتدابير الدقيقة في اركان وخواص رسائل النور

»فهناك طبقة الأركان والمالكين والخواص والناشرين والطلاب والموالين وامثالها من الطبقات.

فمن لم يكن اهلاً للدخول في طبقة الاركان لا يطرد خارج الدائرة ، بشرط عدم موالاته لتيار يخالف رسائل النور ، والذي ليست له ميزات الخواص يمكن ان يكون طالباً بشرط عدم الدخول في مسلك مضاد، والذي يعمل بالبدعة يمكن ان يكون صديقاً بشرط عدم موالاته قلباً لها.

ولهذا لا تخرجوا احداً من جراء خطأ طفيف خارج الدائرة لئلا يلتحق بصف الاعداء. ولكن لا يُشرَك هؤلاء في التدابير الدقيقة التي يتخذها اركان رسائل النور ومماليكها.«(٧٧)

٢١- الخواص التي يجب الانتباه اليها لجهة المخاطبين

* يجب تعيين ماذا سيقال ولمن سيقال

»لقد قلت يوماً - قبل نزول هذه المصيبة بنا - وانا على جبل قسطموني . بل صرخت مراراً: يا اخواني »لا تلقوا اللحم امام الحصان ولا العشب امام الاسد« بمعنى لا تعطوا كل رسالة أياً كان حذراً من أن يتعرضوا لنا بسوء«(٧٨)

٢٢- من أسباب التوفيق في الإرشاد والتبليغ هو الترقي المادي

* الترقي المادي واعلاء كلمة الله

»فكل مؤمن مكلف باعلاء كلمة الله واعظم وسيلة لاعلاء كلمة الله في زماننا هذا هو الرقي المادي.

اذ الاجانب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوي بسلاح العلوم والصنائع ونحن سنجاهد بسلاح العلم والتقنية الجهلَ والفقرَ والخلاف الذي هو ألد أعداء اعلاء كلمة الله

اما الجهاد الخارجي فنحيله الى السيوف الالماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء لأن الغلبة على المدنيين انما هي بالاقناع وليس بالاكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً«(٧٩)

نتيجة

ونستطيع ان نقول باختصار ان منهج بديع الزمان لم يفقد اعتباره ابداً. ولا يزال مقبولاً حتى الآن وضرورياً لإنسان عصرنا. والذين يعدون أنفسهم مكلفين بالتبليغ عليهم ان يدرسوا هذا المنهج. وهذا المنهج هو بنفس الوقت تشريح لحركة كفاحية. فقد رسم الهدف اولاً، ورغم وضع الشروط بعين الاعتبار إلا انه لم يتم التسليم لها، وتغيرت استرتيجية الكفاح حسب الزمان والمكان، لكن لم تتغيرالنقطة التي اريد التوصل اليها. ولم يتم التنازل عن الحقائق السامية، واستفيد من جميع الوسائط في التبليغ كالصحف، والكتب وغيرها، واستمر السير نحو الهدف في كل زمان ومكان وذلك بنسج منظومة تفكر حول المبادئ الاساسية. ولا يمكن القول انه لم يتم التوصل الى النجاح. والميراث المعنوي الذي تركه، كليات رسائل النور، هي بين ايدي وعلى لسان ملايين الناس في تركيا والعالم. وقد تذوق ملايين الناس حلاوة الايمان بواسطة هذا الميراث المعنوي.

* * *

الهوامش

(١) السيرة الذاتية، إسطنبول ١٩٧٦م. ص ٥٠٥

(٢) الشعاعات، /٥٤٤

(٣) سيد سليمان ندوي، التاريخ الاسلامي الكبير عصر السعادة »ترجمة علي كنجلي«، إسطنبول ١٩٦٧م، مج٢، / ٤٠٤

(٤)انظر سورة آل عمران، ٢٠؛ المائدة ، ٩٢،٩٩؛ الرعد، ٤٠؛ النحل، ٣٥، ٨٢ ؛ النور، ٥٤؛ العنكبوت، ١٨؛ يس ، ١٧، الشورى، ٤٨؛ التغابن، ١٢

(٥)سورة آل عمران، آية ١٠٤

(٦)سورة الصف، آية ٢

(٧)سورة البقرة، آية ٤٤

(٨) صيقل الاسلام/الخطبة الشامية/٤٩٤

(٩) الملاحق- قسطموني/١٠٥

(١٠)الترمذي، النذر، . ابن ماجه، الفتن ١٦

(١١) الملاحق - قسطموني/٢١٨

(١٢) الملاحق - اميرداغ/٢٨٩

(١٣) الشعاعات/٤٦٨

(١٤)سورة المائدة، آية ٩٩

(١٥)سورة القصص، آية ٤٦،

(١٦)سورة الغاشية، آية ٢١-٢٢

(١٧)ملحق قسطمونن، إسطنبول ١٩٦٠م، ص ١٩٦- ١٩٧

(١٨)سورة هود، آية ٢٩، آية ٥١

(١٩)اللمعات، ٢٢٧

(٢٠)الوصفات الاجتماعية، مج ١، ص ٧٣

(٢١)سورة آل عمران، آية ١٠٣

(٢٢)سورة المائدة، آية ٢

(٢٣)رسالة مرشد أهل القرآن، ص ٢٣

(٢٤)الملاحق قسطموني ، ص١٧٠

(٢٥)اللمعات، ٢٢٨

(٢٦) الشعاعات/٣٧٢

(٢٧) الفرقان: ٧٢

(٢٨) الملاحق - قسطموني/٢١٤

(٢٩)اللمعات/ ٤٣١.

(٣٠) الملاحق/ اميرداغ ١/ص ٢٣٩

(٣١)سورة النحل، آية ١٢٥.

(٣٢)سورة العنكبوت، آية ٤٦

(٣٣)سورة طه، آية ٤٤.

(٣٤)ياوز بهادير اوغلو، السير الذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، حياته، تفكره، كفاحه، دار يني آسيا، إسطنبول ١٩٨٣م. ص ٨٩.

(٣٥) الكلمات/٢٩٢

(٣٦) صيقل الاسلام/ الخطبة الشامية/ ٥٣٥

(٣٧) المكتوبات/٤١

(٣٨)سورة آل عمران، آية ١٤٦

(٣٩)الترمذي، الزهد ١١. ابن ماجه، الفتن ١٢

(٤٠) الملاحق/اميرداغ/٢٤٧

(٤١) الملاحق/اميرداغ/٢٤٨

(٤٢) اللمعات/٦٧

(٤٣)سورة الحشر، آية ٩.

(٤٤)ملحق زميرداغ، مج١، ص ١٩٩.

(٤٥)رسالة الخدمة، ص ١٩.

(٤٦) الشعاعات/٣٧٢

(٤٧)رسالة الخدمة، ص ٢٠٥

(٤٨)سورة الأعراف، آية ٥٦

(٤٩)سورة المائدة، آية ٥٤،

(٥٠)سورة الاعراف، آية ١٤٢

(٥١)السرة الذاتية، ص ١٩٨

(٥٢)الشعاعات، ص ٢٠٠

(٥٣) الملاحق/ ملحق قسطموني/ ١٥٢

(٥٤)المكتوبات، المكتوب ٢٢، الوجه٤، الدستور ٤، ص ٢٤٧

(٥٥)سكة التصديق، ص ١٤٩

(٥٦)المكتوبات، ص ٧٦

(٥٧) صيقل الاسلام – الخطبة الشامية/٥٣٤

(٥٨)سورة محمد، آية٧

(٥٩)سورة الحج، آية ٤٠.

(٦٠)الملاحق/ ملحق قسطمونو، ص ١٥٧

(٦١)سورة الشورى، آية ٣٨.

(٦٢)الملاحق/ ملحق قسطموني، ص ٢١٢

(٦٣)ملحق أميرداغ، مج١، ص ١٤١

(٦٤) صيقل الاسلام – محاكمات عقلية/٤٦

(٦٥) صيقل الاسلام – محاكمات عقلية/٦٧

(٦٦) صيقل الاسلام المناظرات، ص ٣٩٥

(*)بيت بالفارسية تعني: ان الندماء شربوا ما شربوا وتركوا الحانة خالية. المترجم.

(٦٧)صيقل الاسلام/ المناظرات ، ص ١١١– ١١٢

(٦٨)مسلم، الايمان ٩٥. الترمذي البر، ١٧.

(٦٩)الآثار البديعية، »تجمع آثاربديع الزمان المطبوعة بالاحرف العثمانية)، لم يعرف تاريخ ومكان طباعتها، ص ٣٩٣

(٧٠) محاكمات عقلية، ص ١٤٢

(٧١)(الصف:١٠)

(٧٢) الملاحق/ ملحق بارلا، ٤٤

(٧٣)سورة يوسف، آية ٦٧

*) قال في المقاصد: لا اعرفه بهذا اللفظ، ولكن معناه في قوله ﷺ : اقدر القوم بأضعفهم فإن فيهم الكبير والسقيم والبعيد وذا الحاجة. ورواه الشافعي في مسنده وكذا الترمذي وحسّنه، وابن ماجه والحاكم وقال: على شرط مسلم ، وابن خزيمة وصححه (كشف الخفاء ١٥١٨ باختصار)

(٧٤) الملاحق - قسطموني/٢١٦

(٧٥)سورة يوسف، آية ٥.

(٧٦)العجلوني، كشف الخفا، القاهرة، مج ١، ص ١٣٥

(٧٧) الملاحق- قسطموني - ٢١٦

(٧٨)اللمعات،٤٠٥

(٧٩)صيقل الاسلام - الخطبة الشامية /٥٢٧